بألحانها ، فنحس كأن النار قد بدأت تلتهم الاوركسترا ، والسعير اللاهب قد بدأ يأكلها .. وتخف الحدة ، ثم تنتهي الحركة بقرع خفيف من الطبول .

الحركة الرابعة

كل نصر زائل . وكل نجاح فارغ . وكل مسعى ضائع تلك هي الأفكار التي تريد الحركة الرابعة أن تمليها علينا نحن المستمعين . ونحن لم نسمع حتى الآن في أية قطعة موسيقية مؤلفاً يقول لنا بصراحة تامة وحزم : « لقد ضاع كل شيء »! لكن هذا ما تحدثنا به تشايكوفسكي نفسه. والحركة هذه عبارة عن توالي الأفكار : الألم والمرارة والبكاء ، لكن هذه الأفكار سرعان ما تختفي عندما تظهر أنغام غيرها قائلة : « ليس الآن وقت الحزن والعويل » ، لكن الآلات لا تقتنع بهذا المنطق الفارغ فتمضي في أنغامها الشبيهة بالصلاة على ارواح الموتى ويتلوها الباسون وقد فقد مرحه واستهزاءه .. يهتز ذات اليمين وذات الشمال وقد ناء ظهره باحزانه وآلامه ، وتعود الكمنجات والتشلو الى أغنيتها الكئيبة .

وفجأة يعلو الصخب .. لبرهة ثم يهدأ ، فلا نعلم ما الذي حدث أو سيحدث ، ثم تسير رتيبة عادية ، ومرة أخرى تنفجر الضربات القوية بعنف .. الآن حدث شيء ..

انها النهاية .. عنيفة شديدة قوية ، لكن بلا شجاعة ... هي استسلام بلا محاولة للهرب من الشبح الرهيب .. الموت .. الموت .. اذن فقد انتهت الآلام والاحزان . ويمضي تشايكوفسكي في موسيقاه نحو الموت ، لا كرجل شجاع مستعد لملاقاة خصمه وجهاً لوجه ، بل كجبان رعديد يرى في الموت نهاية شقائه .. وبدء سعادته !

*

ولكن لنكن منصفين .. عادلين ، ولو قليلا .. لنكن غير متحاملين على تشايكوفسكي ، فهو قد صور لنا قصة حياته وعذابه وآلامه تصويراً صريحاً صادقاً ، فشخص لنا نفسيته على حقيقتها .. هدوءها واضطرابها وغموضها وضعفها ، بألحان من أروع الالحان .

تلك هي آلام تشايكوفسكي ، وتلك هي أحزانه ، لكننا لو عرفنا الحقيقة التي تكمن وراء هذا التردد والغموض لرثينا لحال المؤلف.. اذ كانت أسعد اوقاته عندما يكون حزيناً ! ..

دمشق — عبد الرحمن البيطار

نداء

لينا برهان الجيوسي ، ابنة الشاعرة المعروفة سلمى الخضراء الجيوسي ، هي طفلة في السابعة من عمرها ، تتفتح براعمها في هذه الفترة من حياتها عن شاعرية مبكرة ، تذكرنا بشاعرية الطفلة الفرنسية «مينو درويه» التي اثارت ضجة كبيرة منذ أشهر في اوساط فرنسا الأدبية .

وسيجد القارئ ، في هذه المقطوعة النثرية التي ارسلتها الينا الطفلة لينا ، شعوراً نابضاً يم عن حساسية مرهفة هي ينبوع كل شاعرية ..

فهل تراها عبقرية عربية جديدة ، على طريق التفتح ؟

[الآداب]

•

هانئة ، هانئة أين أنت
قلبي يبكي عليك .
والهواء النسيم يركض ليفتش عليك .
هانئة أين أنت ؟
قولي لي أين أنت يا هانئة
أين أنت ؟
اني كنت أقطع الحشائش الخضراء
لأفتش عليك .
أما الهواء النسيم
فهو يركض ويقول : قولي لي يا هانئة
أين أنت ..

بغداد — لينا برهان الجيوسي